

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

الملتقى الوطني الثاني لأعلام حوض الشلف

عنوان المداخلة: أعلام حوض الشلف وأدب البيوغرافيا والسير

إعداد: الأستاذ الدكتور: توزان عبد القادر

الأستاذ: بوشاقور علي

فضلنا أن تكون المداخلة بعنوان : أعلام حوض الشلف وأدب البيوغرافيا

والسير. وقد قسمنا البحث إلى ثلاثة محاور:

أ- بين أدب البيوغرافي وأدب السير:

يعرف الغرب البيوغرافيا على أنها قصة حياة ، وهي نوعان:

البيوغرافيا العلمية والبيوغرافيا الروائية، وإذا كانت البيوغرافيا العلمية لا

تتعدى حدودا لا يتجاوزها الباحث في هذا التخصص، من أخبار وأحداث

وأعمال عاشها العلم المتناول بالدراسة، فإن البيوغرافيا الروائية يذهب

صاحبها إلى تحليل كل من هذه العناصر تحليلا خياليا فكريا أو أدبيا، بحثا

عن الحقيقة ، كل ذلك من أجل جعل هذه الشخصية أكثر وضوحا وجلاء

للآخرين . وتطور هذا النوع من البحوث البيوغرافيا ليشمل كل الأعلام

باختلاف بلدانهم وتخصصاتهم، حتى لا تكاد تجد عالما أو أدبيا أو فنانا أو

سياسيا إلا وجدت عنه كثيرا أو قليلا حول قصة حياته. وبظهور الإنترنت

أضيفت إلى أعمال البيوغرافيين أمورا جديدة أخرى، كتضمين أصوات

الأعلام وإضافة أصوات حية عنهم ، هذا إلى جنب ما كتب عن هذه

الشخصيات من أحداث وأخبار وأعمال ودراسات.

أما مصطلح السيرة عند العرب فيدل على مصطلح البيوغرافيا تماما عند الغرب ، كما كان يتناول هذا العمل مجموع العناصر ويتقيد بنفس الشروط تقريبا، تلك التي يتقيد بها البيوغرافي اليوم. وتذهب الدراسات التاريخية تحديدا لظهور هذا النوع من البحوث إلى أنه يعود إلى الأزمنة الغابرة، في نقوش الفراعنة لمصر القديمة، وكذا على النقوش الرومانية واليونانية، لكن أول من طور هذا النوع لينتسج إلى مئات الصفحات في كتب أطلق عليها تسمية (السيرة)، هم العرب قبل غيرهم. ونعد منها (سيرة بن ذي يزن) أو سيرة محمد عليه الصلاة والسلام.

وتتراوح السير عند العرب بين الاختصار والإطناب، وتتشرك كلها في العنصر القصصي بإعمال الخيال المفرط، وتتجاوز الأحداث الحقيقية أحيانا أخرى، إلى الحدث الميثافيزيقي. ونجد أحسن من يمثل هذا النوع من البحوث والمناسب لدراسة أعلام حوض الشلف ، ابن خلكان في كتابه 'وفيات الأعيان " لأنه استطاع ولو بإيجاز شديد أحيانا أن يحدثنا عن معظم الأعلام في عصره من شخصيات أدبية وفكرية. ولعل في اتجاهه إلى مثل هذه المؤلفات أسباب ودوافع متعددة، ونفضل من مجموعها صياغة اثنتين نراهما هامين وكافيين للتفكير والشروع في كتابة مثل هذه المؤلفات أو البحوث :
أولا: المحافظة بالذکر، والعرفان بالجميل، لكل أعلام عصرهم وأمتهم خوف الضياع أو النسيان تقديرا لجهودهم العلمية، وكذا المحافظة على التراث.
ثانيا: الإعجاب بهؤلاء الأعلام، دفعهم إلى الدعوة للاقتداء بهم وكذا تقليدهم في كل ما هو جيد، جميل ومفيد.

ب- أهمية استفادة أعلام حوض الشلف من البحث البيوغرافي والسير: يزخر حوض الشلف منذ القرون الوسطى، وقبلها أحيانا بكثير من الأعلام، إلا أن ظروف الحروب المتتالية ، وعدم الاستقرار التي مر بها مغربنا

العربي، أدت إلى غمرة الكثير من أعلامها وضياع العديد من إنتاجها . فقد تسمع الكثير عن أحد أعلامها، ولا تكاد تجد له مكتوبا يحدثك عن أخباره أو مؤلفاته أو أعماله ، وقد تعثر على مخطوطات مجهول أصحابها، وهي كثيرة تحصل عليها الوارثون فأحاطوها بنوع من التقديس فخبئت في أماكن لا ترقبها الأعين ولا تمسها الأيدي. تلك المخطوطات لا زالت تنتظر الأيدي الجريئة لافتكاكها من أيدي الجهل لتصل إلى أيدي المحققين قصد دراستها والتعريف بأصحابها.

وليس هناك أجلّ عمل وخدمة يقدمها الباحثون في عصرنا وفي أيامنا هذه، مثل إقامة بحوث بيوغرافية على طريقة ابن خلكان، تتناول بالبحث والدراسة والتمحيص أعلام حوض الشلف، وتكون هذه الدراسة جامعة على شاكلة " وفيات الأعيان " خدمة للتراث ووفاء منا لشخصياتهم وتضحياتهم، وفي كل ذلك تأدية للواجب الوطني للأمة وللتاريخ.

ج - سير بعض أعلام حوض الشلف على طريقة ابن خلكان:

- 1- الشيخ أحمد بن عشيظ المجاجي: ولد بمجاجة عام 1814م وتوفي عام 1931م . حفظ القرآن الكريم على شيوخ بلده، وتفقه عليهم مثل الفلاق والشيخ الجيلالي المنور الفلكي، ثم درس الفقه في بلده مجاجة مدة زمانية ، ثم هاجر إلى المغرب الأقصى وواصل دراسته بجامع القرويين بفاس وتفقه على أكبر العلماء فيه، منهم المؤلف الكبير في الفقه مشهورا في مجاجة دائرة الأصنام ، ودرس بالزاوية القديمة للشيخ العالم الفقيه الصوفي أحمد بن علي، غير أنه حصل خلاف بينه وبين القاضي محمد بن هني من بني عمومته، فانقل إلى زاوية سيدي عدة بتيارت ، وأصبح هو شيخ الزاوية لما قدمه من دروس علمية

- عالية بأمر من شيخها السيد غلام الله ، توفي سنة 1931م رحمه الله ودفن بمقبرة النخلة بمجاجة مقبرة الآباء والأجداد.
- 2- الشيخ الفقيه السيد الميلود بن علي : كان فقيها مشهورا بالتدين في مادة الفقه والعقيدة والفتوى وعمر طويلا حتى توفاه الله بعد الحرب العالمية الثانية أي بعد 1945م ودفن بمقبرة النخلة بمجاجة - رحمه الله -
- 3- الشيخ العالم الفقيه النحوي اللغوي الصوفي السيد قدور بشاوي درس الفقه على المذهب المالكي، والعقيدة (علم الكلام) وألفية ابن مالك والمنطق، والبلاغة بالزاوية القديمة زاوية سيدي أحمد بن علي المجاجي ثم انتقل من بلدة مجاجة إلى مدينة الأصنام - الفيرم - قبل 1939 ودرس جامع سيدي ميلود، وقرأ على يديه طلبة كثيرون وشاركوا في ثورة نوفمبر 1954م أغلبهم استشهد والباقي منهم عاش وسجن. ثم درس الشيخ وتوظف في دولة الحرية والاستقلال.
- 4- الشيخ محمد سعيدس المجاجي : توظف في مدارس جمعية العلماء ، ثم في زاوية التربية ، واشتغل مفتشا للشؤون الدينية والأوقاف في وزارة الشيخ شيبان.
- 5- الشيخ العالم الفقيه النحوي الحاج الجيلالي بن عبد الحكم : حفظ القرآن الكريم على شيوخ بلدته وهو صغير، ثم توجه إلى دراسة الفقه واللغة والعقيدة والنحو والبلاغة في زاوية الشيخ بنشرقي في 1868م ودرس بالعطاف على الشيخ الحاج بلخربي توفي الشيخ بن شرقي رحمه الله وأتم الشيخ الجيلالي بن عبد الحكم دراسته على الأستاذ محمد بن أحمد السوسي المتخرج من جامع القرويين بفاس فقرأ عليه مدة خمس سنوات الفقه والنحو واللغة والآجرومية والقطر وألفية ابن مالك وجوهرة التوحيد (علم الكلام) والبلاغة من الجوهر المكنون

والمنطق من القوبيسي على المسلم والشيخ الخضري ثم استأذن المشايخ الذين وجهوه بفتح مدرسة في بلدة العطاف سنة 1907م وشرع في التدريس إلى 1935م وتخرج عليه ما يفوق مائتي طالب حصلوا وأجيزوا ورجعوا إلى أهاليهم من ندرومة وتلمسان وأم العساكر وغليزان وسعيدة وتيارت والأصنام وناحية مليانة ومن الغرب والريف وفاس وقسنطينة ثم انتقل من العطاف سنة 1935م إلى الأصنام وفتح مدرسة جديدة ودرس فيها حتى 1954م ضرب زلزال عنيف فانتقل مع ابنه الشيخ أحمد ودرسا في غلزان إلى بعد 1962 رجعا إلى الأصنام حتى توفي في السبعينات وابنه أحمد في الثمانينات رحمهما الله.

6- الشيخ الفقيه النحوي عبد الله بن بخيرة الراشدي ابن سعيد المنتسب إلى الشيخ عبد القادر بوراس المازوني : ولد الشيخ عبد الله 1893م بقرية الغليات بعرش بني راشد ولاية الأصنام سابقا (الشلف) حاليا، حفظ القرآن على مشايخ بلده وأجيز في حفظه سنة 1919م درس الفقه على الشيخ الحاج الجيلالي بن عبد الحكم بالعطاف والنحو والعقيدة والبلاغة والمنطق وتخرج سنة 1927م ثم رجع إلى قريته ببني راشد وبني مدرسة شعبية ، وشرع في تدريس الفقه والنحو واللغة والعقيدة والمنطق والبلاغة و مصطلح الحديث ، وتخرج على يديه ما يفوق الثمانين (80) فقيها نحويا وأغلبهم اعتنقوا الثورة والجهاد واستشهد أكثرهم ، وقبل الثورة كلهم كانوا يدرسون الفقه والقرآن ، والباقي منهم عاش وتوظف في دولة الحرية والاستقلال ، ولم ينته الشيخ من التدريس الذي بدأه في 1927م حتى 1975م مرض سنتين وبعده انتقل

إلى جوار ربه بعد صلاة الفجر يوم الثلاثاء 20 أكتوبر سنة 1981م ودفن في مقبرة الولي الصالح أحمد بوحايك ببني راشد رحمه الله .

7- الولي الصالح امحمد بن علي أبهلول المجاجي 945هـ - 1002م قال العلامة الشريف المشرفي : إن الشيخ السيد امحمد بن علي كان إماما هماما عالما عابدا، تفرّد بهذه الأوصاف على سائر علماء وقته، واشتهر بالصلاح والتقوى ، وكان له بركة عظيمة وللناس فيه اعتقاد عظيم، وكانت كرامته أوضح من شمس الضحى ، وهي الدليل على استقامته، وله دعاء مستجاب تشد إليه الرحال في المسائل العلمية ، فغذى العقول ونقحها وكساها علم التصوف وله الباع الطويل في الشعر ، له قصيدة سالمة من عيوب الشعر توسل فيه للمولى جل وعلا مفوضا أمره إليه في المبغضين له والحادين من أهل زمانه أولها:

أفوض أمري للذي فطر الأسماء
احتوت على أمثال وحكم ، وكان رضي الله عنه يطعم الطعام ويفشي السلام
(انتهى كلام المشرفي.)

وكان الشيخ الفقيه امحمد بن علي المجاجي يدعى زين العابدين وأخوه أبو علي وقد اشتهر على مستوى المغرب العربي الذي جمع بين المدرسة والزاوية والرباط وحسن التدريس وحسن الوفاة بمجاجة ، ونبع في هذا العهد شخصيات لها وزن وقيمتها في الحقل الثقافي والعلمي والوطنية أمثال سعيد قدورة مفتي العاصمة ، وهو تلميذ امحمد بن علي المجاجي والمطماطي وعبد الرحمن المجاجي ويحيى الشاوي الملياني.

ومن علماء المنطقة في العصر الأخير:

1- الشيخ الجيلالي الفارسي ، كان عالما فصيحاً بليغاً وكان من أوائل طلبة الشيخ العلامة عبد الحميد ابن باديس، يناديه بإمام أقرانه : أين

الفارسي .فيجيب نعم سيدي. فيقول ابن باديس: قم بالدرس على الطلبة، وأمام الشيخ ابن باديس ، وعندما فتحت مدرسة ابن خلدون في شهر سبتمبر 1944م عين مديرا عليها حتى 1956م حيث أغلقت ، وأُخذ الفارسي إلى السجن من طرف الاستعمار.

وبعد الاستقلال عين مفتشا للشؤون الدينية على ولاية مستغانم وتيارت والشلف، وآخر حياته أصبح واعضا ومرشدا في المسجد العتيق بالشلف وقد أرسل إلى تمثيل الجزائر في ملتقى علماء المسلمين بالأزهر .

2- الشيخ محمد بن عروش ، الفقيه النحوي ، مدرس الفقه والنحو والعقيدة والحديث والتفسير للطلبة المسافرين، والقرآن للتلاميذ الصغار، وعين أحد الطلبة للإشراف عليهم ثم يقوم الشيخ بن عروش بدروس ليلية للكبار في الحديث وقام بتعليمهم فرائض الوضوء وسننه ومبطلاتها، وكذلك حرص على تعليم فرائض الصلاة وسننها ومبطلاتها دون مقابل من الدولة ولا من الدارسين ، وكان يدرس في المسجد العتيق بداية من 1935م إلى أن وافته المنية سنة 1953م.